الإعجاز العلمي في حديث الأبهر

للأستاذ الدكتور/ مجاهد أبو المجد

في البداية والنهاية للإمام إسماعيل بن كثير الدمشقي

قال البخاري رواه عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم شاه فيها سم.

وقد قال الإمام أحمد حدثنا حجاج ثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاه فيها سم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اجمعوا لي من كان هنا من اليهود" فجمعوا له، فقال لهم النبي "هل أنتم صادقي عن شيء إذا سألتكم؟"

فقالوا: نعم يا أبا القاسم

فقال: "هل جعلتم في هذه الشاه سماً؟"

فقالوا: نعم

قال: "ما حملكم على ذلك؟"

قالوا: "أردنا إن كنت كاذباً أن نستريح منك وإن كنت نبياً لم يضرك".

وفى الصحيحين من حديث شعبه عن هشام بن زيد عن أنس بن مالك أن امرأة يهودية أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة مسمومة فأكل منها فجئ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن ذلك قالت أردت لأقتلك فقال "ما كان الله ليسلطك علي" أو قال: "على ذلك"

قالوا: ألا تقتلها

قال: "لا"

قال أنس: فمازلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقال الزهري عن جابر واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعده ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفى منه فقال: (مازلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاة يوم خيبر، حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري) فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً.

قال ابن هشام الأبهر العرق المعلق بالقلب

قال فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله به من النبوة.

لسان العرب لابن منظور:

الأبهر: عرق في الظهر مستبطن الصلب والأبهر عرق إذا انقطع مات صاحبه والأبهر عرق مستبطن في الصلب والقلب متصل به فإذا انقطع لم تكن معه حياة.

التلخيص:

(١) أن امرأة تدعى زينب بنت الحارث قدمت شاه مصْلِيَّة مسمومة للرسول صلى الله عليه وسلم فأكل منها.

(٢) أن الذراع أخبرت الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مسمومة.

(٣) أن الرسول أخبر في مرضه الذي توفى فيه أن هذا أوان انقطاع الأبهر منه صلى الله عليه وسلم من أثر الشاة المسمومة.

(٤) إن كثيراً من علماء الأمة وسلفها يرون أن الرسول مات شهيداً وأن الله أنعم عليه بالشهادة بجانب النبوة.

(٥) الأبهر: عرق يتصل بالقلب ويمر بالصلب والأبهر هو ما نسميه طبياً الأورطى.

يقول ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد أن النبي بقى بعد هذا الحادث ثلاث سنين حتى قال في وجعه الـــذي مات فيه: مازلت أجد من الأكلة التي أكلت من الشاه يوم خيبر فهذا أوان انقطاع الأبهر مني.

قال الزهري: فتوفى صلى الله عليه وسلم شهيداً.

من استعراض القصة في كتب السيرة تبرز لنا عدة أسئلة؟

السؤال الأول:

هل نستطيع أن نعرف نوع السم الذي وضعته زينب بنت الحارث للرسول صلى الله عليه وسلم في الشاة؟

هذا السم:

(١) يستخدم من آلاف السنين ومعروف في الجزيرة العربية.

(٢) يظهر أثره في اللهوات كما قال أنس رضى الله عنه.

إذن ما هو السم الذي استخدم من آلاف السنين وتظهر علامته على اللهوات؟

اللهوات: قالت عائشة رضى الله عنها "ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه لهواته إنما كان يبتسم" صحيح مسلم

اللهوات: جمع لهاة وهى اللحمة الحمراء المعلقة في أعلى الحنك قاله الأصمعي.

وفى فتح الباري للإمام ابن حجر العسقلاني في التعليق على حديث وفاة الرسول وقصة الشاة المسمومة التي قدمت للرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر – يقول ابن حجر أما قول أنس فمازلت أعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم "فاللهوات جمع لهاة وهى اللحمة المعلقة في أصل الحنك وقيل هي ما بين منقطع اللسان على منقطع اصل الفم وهذا هو الذي يوافق الجمع المذكور.

ومراد أنس رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتريه المرض من تلك الأكلة أحياناً وهو موافق لقوله في حديث عائشة "ما أزال أجد ألم الطعام".

ويقول ابن حجر ويحتمل أن يكون أنس أراد أن يعرف ذلك في اللهوات بتغيير لونها أو بنتوء فيها (قاله الطبري)

وفى صحيح مسلم بشرح النووي وأما اللهوات فبفتح اللام والهاء: جمع لَهات بفتح اللام وهى اللحمة الحمراء المعلقة في أصل الحنك "قاله الأصمعي" وقيل اللحمات اللواتي في سقف الفم.

وقوله (مازلت أعرفها) أي العلامة كأنه بقى للسم علامة وأثر من سواد أو غيره.

من المعلوم طبياً في علم السموم أن السم الذي يترك أثراً على أصل الحنك واللثة هو المواد الثقيلة (**Heavy metals**) مثل الزرنيخ (**Arsenic**) والقصدير (**Lead**).

فهل استخدم الزرنيخ أو القصدير (**Arsenic - Lead**) منذ سنوات عديدة كسم زعاف – وهل يترك كلاهما أثراً على اللهوات؟

في: **Human Health fact sheet**

ANL, November 2001

Arsenic has been recognized from ancient times be poisonous.

الزرنيخ منذ العصور القديمة يستخدم كمادة سامة.

هل يترك القصدير أو الزرنيخ أثراً على اللهوات؟

*** Brit. Med. J 3(5666) 336-7, 1969**

(Lead poisoning in soldiers in Hong Kong)

clinical finding include blue lines on the gum.

ظهور خط أزرق في اللثة بالفم نتيجة التسمم بالقصدير.

*** Journal of the society of Occupational Medicine, Vol 40, No. 4 pages 149-152, 28 references, 1990**

Arsenic trioxide could cause gingival ulceration and gum discoloration.

الزرنيخ يؤدى إلى التهاب وتغير في لون اللثة.

يتضح بعد هذا التفصيل أن القصدير والزرنيخ تؤدى إلى تغير في لون اللثة واللهاة كما تؤدى إلى التهابات بالفم واللثة واللهاة.

بعد هذا الشرح نستنتج الآتي:

(١) من المرجح أن يكون الزرنيخ أو القصدير أو كليهما قد استخدم في تسميم الشاة المصلية التي قدمت للرسول صلى الله عليه وسلم بخيبر.

(٢) أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تناول السم فعلاً.

السؤال الثاني:

هل يؤثر التسمم بالزرنيخ أو القصدير على الشريان الأبهر؟

* **BULLETIN OF ENVIRONMENTAL CONTAMINATION AND TOXICOLOGY VOL. 31, NO. 3 PAGES 267-270, 1983.**

The accumulation of arsenic (AS) compounds was studied in human tissues. The highest mean total AS concentration occurred in the aorta.

*** Journal of Nutrition, Vol. 96, No. 1 pages 37-45, 1968.**

Large amounts of AS accumulated in tissues especially red cells and aorta.

كمية كبيرة من الزرنيخ تتجمع في الأبهر.

<u>Toxnet web site:</u>

During exposure to lead the concentration is relatively high in soft tissues especially aorta.

أي أن القصدير أيضاً يتجمع بنسبة عالية في الشريان الأبهر.

ومن هذا يمكننا أن نستنتج بوضوح أن كلاً من القصدير والزرنيخ يتركزان بكمية كبيرة في الشريان الأبهر.

السؤال الثالث:

هل تتشابه أعراض المرض الذي توفى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع انقطاع الأبهر؟

بدأ المرض بالنبي صلى الله عليه وسلم في مطلع شهر ربيع الأول وبدأ بأن اشتكى بوجع في رأسه – قالت عائشة رضى الله عنها رجع عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم من جنازة بالبقيع وأنا أجد صداعاً في رأسي وأنا أقول وارأساه قال "بل أنا وارأساه": قال: (ما ضرك لو مت قبلي فغسّلتك وكفنتك ثم صليت عليك ودفنتك) رواه أحمد وابن ماجه.

وكانت عائشة رضى الله عنها تحدث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بعدما دخل بيته واشتد وجعه "هريقوا على من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن لعلى أعهد إلى الناس" رواه البخاري ومسلم.

قالت عائشة ما رأيت رجلاً أشد عليه الوجع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (البخاري ومسلم).

وقال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه (دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكاً شديداً فمسسته بيدي فقلت يا رسول الله – إنك لتوعك وعكاً شديدا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أجل إني أوعك كما يوعك الرجلان منكم" البخاري ومسلم

وعن أنس رضى الله عنه قال لما ثقل المرض على النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه فقالت فاطمة واكرب أباه، فقال لها "ليس على أبيك كرب بعد اليوم" رواه البخارى

يقول العباس رضى الله عنه: "وكنت إذا لمسته ضربتني الحمى"

ومن استعراض هذه الروايات يتضح لنا الآتي:

(١) أن الرسول صلى الله عليه وسلم أصيب بحمى وارتفاع شديد في درجة الحرارة.

(٢) أنه كان يوعك وعكاً شديداً ويتألم ألماً شديداً.

(٣) كان يتصبب عرقاً من شدة ارتفاع درجة الحرارة.

(٤) كان صلى الله عليه وسلم يغشى عليه لما ثقل عليه المرض.

العلامات والأعراض الإكلينيكية لانقطاع الأبهر:

Signs and symptoms of Aortic dissection:

1. **chest pain** — آلام في الصدر
   sudden, severe, stabbing tearing — حادة – شديدة
2. **decreased movement** — صعوبة الحركة
3. **pallor** — اصفرار الوجه
4. **profuse sweating** — عرق شديد

– لاحظ أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يوعك وعكاً شديداً.

– وكان يحمله العباس وعلى بن أبي طالب رضى الله عنهما.

الخلاصة:

أن أعراض مرض وفاة النبي صلى الله عليه وسلم تتشابه مع أعراض انقطاع الأبهر إلى حد كبير.

السؤال الرابع:

أ –هل عرف النبي صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله؟

ب منذ متى عرف مرض انقطاع الأبهر؟

ج– من الذي أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بهذا المرض؟

أ –بشر النبي صلى الله عليه وسلم باقتراب أجله في آيات عدة من القرآن الكريم منها قوله تعالى "إنك ميت وانهم ميتون" الزمر ٣٠ وقوله سبحانه "وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون * كل نفس ذائقة الموت" الأنبياء ٣٤،٣٥.

"وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم" آل عمران ١٤٤ وقوله "إذا جاء نصر الله والفتح ...) سورة النصر.

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال "أنزلت هذه السورة "إذا جاء نصر الله والفتح" على رسول الله صلى الله عليه وسلم في وسط أيام التشريق وعرف أنه الوداع) سنن البيهقي.

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن عمر رضى الله عنه سأل الصحابة عن قوله تعالى "إذا جاء نصــر الله والفتح" قالوا فتح المدائن والقصور قال: ما تقول يا ابن عباس؟ قال "أجل أو مثل ضرب لمحمد صلى الله عليه وسلم ينعي له نفسه" البخاري.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: أقبلت فاطمة تمشى كأن مشيتهاً مشي النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم "مرحباً يا بنيتي" ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسر إليها حديثاً فبكت فقلت لها لم تبكى؟ ثم أسر إليها حديثاً فضحكت فقالت: ما رأيت كاليوم فرحاً أقرب من حزن فسألتها عما قال فقالت ما كنت لأفشي سر النبي صلى الله عليه وسلم حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم فسألتها فقالت أســر إلى "أن جبريل كان يعارضني القرآن مرة وأنه عارضني العام مرتين ولا أراه إلا حضر أجلي ، وأنك أول أهل بيتي لحاقاً بي" فبكيت فقال "أما ترضين أن تكوني سيدة نساء أهل الجنة أو نساء المؤمنين" فضحكت لذلك (البخاري ومسلم).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس وقـــال: "إن الله خيَّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله" قال "فبكى أبو بكر فعجبنا لبكائه وكان أبـــو بكر آنذاك أعلمنا" البخاري ومسلم.

وتقول عائشة رضى الله عنها: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول "إنه لم يقبض نـــبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير" فلما اشتكى ورأسه على فخذ عائشة غشى عليه فلمـــا أفـــاق شخص ببصره نحو سقف البيت ثم قال "اللهم الرفيق الأعلى" فقلت إذاً لا يجاورنا فعرفت أنه حديثه الـــذي كان يحدثنا وهو صحيح" البخاري

ب وهكذا يتضح لنا في نهاية هذا المبحث أن الرسول كان يعلم قرب أجله وأنه خيّر بين الخلد في الدنيا ولقاء الله فاختار صلى الله عليه وسلم لقاء ربه وأن الله أخبره بأن السم الذي دس له في شاة زينب بنت الحارث اليهودية قد سبب انقطاع الأبهر.

الخلاصة:

(١) أن الله حقق للنبي صلى الله عليه وسلم معجزة مادية بأن جعل الذراع يخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأنه مسموم.

(٢) أن الله حقق للنبي صلى الله عليه وسلم معجزة علمية شاهدة على صدق نبوته وعلى أنه لا ينطق عن الهوى.

الإعجاز العلمي في الحديث:

١ -معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لمرض انقطاع الأبهر بأكثر من ألف عام لمعرفة العلماء لهذا المرض.

٢ -إخبار الرسول صلى الله عليه وسلم أن التسمم يسبب مرضا للأبهر وهذا لم يعرف إلا حديثاً ومازال لا يذكر في معظم كتب أمراض القلب.

٣ -أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بقرب أجله وأخبره بسبب الوفاة إذ لم يعرف هذا المرض بصورة قاطعة إلا في القرن التاسع عشر.

٤ -احتجام الرسول بعد أن طعم السم من ذراع الشاة يحتاج إلى بحث عن تأثير الحجامة على علاج بعض السموم.